

كلمة الدكتور روعي البعلبكي  
رئيس جمعية أصدقاء الشاعر جودت رستم حيدر  
بمناسبة افتتاح قاعة دراسية باسم الشاعر في الجامعة اللبنانية الأميركية  
بيروت، 2011/12/6

---

بتهدج صوت، وارتجاف أصابع، نهض بقامته المديدة وبثقلته الحديدية، فأرسي قبضته على أعمدة بعلبك، وأنشد: شيدتك عاصمة قصائدي، ونظمت نورك مساكب ولعي. حبري الحروف، مهراق اندلاعه، حملته منك الى الشرق والغرب سنابل ملهمة، وتلوجاً دافئة، سطعت على وجوه لفحتها أمنيات، وأنهكت جفونها انكسارات، فغزت شعرها ظلال، بين أقبية غلال، وهي ترنو الى أراجيح يتعاقب عليها متيمون، لكي أحيطها بثغور من نور، يُستل شعرها من قلوب النوافير في حدائق الطيور.

تلك هي شاعرية جودت حيدر الفذة. قلق متوتر يستقر في خاتمه على سرمدية الطمأنينة المطلقة، حيث يبشر بهاء القلب بانحسار البرودة وانقشاع الكمد.

بشجو المشوق عانق زوايا العالم الأربع ليقول: حبي لبلدي، حبي لبلدي، حبي للعالم. هكذا تعتصر فلسفته، المرفرفة كروحه، عل بحار النيلوفر المزنيق، تتهادى على إيقاع الذوق الموسوق، رهافة همة، واكتحال روعة، واخضلال نجوى.

لم تصدأ مفاتيح المدينة إلا حين أفلت زقزقات الوطن. لكن عينه أبت إلا أن تتابع رصد أدق اخضرار وهي تدمع لمسفوك المجد على حوافي الجرار.

ما إن ادلهم الليل حتى دلف الشاعر الى نوافذ خياله يرقب عودة التوهج، مرهفاً سمعه لالتقاط أول حفيف مرعش ينبىء بعودة سنونوة الحياة. توق جودت<sup>حيدر</sup> أمستديم لمطارح الاستقرار، المنفلتة الى العلياء، المتقدة للارتقاء الى عنان السماء، فزمانه

لحظة، هي في نهايتها خلود، إذ لا تتاقض بين اللحظة والخلود ما دام الكيان مستمدًا من واجب الوجود.

رُواء الذكرى يخرجه، فالكرامة ملازمة متأصلة، وقوافي المقدور تمرجه، فالمقاصد غمرات لامتناهية الشيطان. شاقًا عصا الطاعة ينتفض ماردًا، متمردًا على ظلاميات تضنيه، وأكبال تؤرقه. يقتحم سدود عشوائية تشقيه، ومرارة قهر ترهقه. يتصدى للشين، يتحدى العسف. يمحص لحم المضامين، ثائرًا بحنان، خائفًا بلين. يصعد اجتهاده أفكارًا، يرفدها ضمير، يحركها حنين. يبسط أدواته، مستكملًا وسعه، دارسًا الجدوى، تحدوه حضنة الأب، وتتضرره سماحة السنين.

صبوات المسيرة سهيل، تنبىء مستطلعها بتجليات إبداع أصيل، فما هي أبرز خصائص وإسهامات هذا المفكر الجليل؟

جودت حيدر شاعر سامي المعاني، مولدًا للأفكار، مطورًا للصور. كان مبتكرًا غير مقلد، مجددًا غير مجتر، تصاعديًا توعويًا في مضامير إطلاق الخواطر وجلو المشاعر. وجدانيته حيوية، وفنّيته نوارس، تعكسان أدق مخزونات النفس البشرية المنسفة من فواده وأعصابه مثلما يتصبب العرق ويترشح النسغ.

أما المباني فتفيض جمالية ألاقة لماحة، بفضل سلاسة أسلوبه المحكم المطوّف في فضاء اللطائف المعقلنة، على جناح عبارته المشذبة. ما أحرصه على الموازنة والمقابلة بعطر متعدد الألوان تخضبه حصافة إدراك، وتوثب خيال، ورقة شعور! فإذا بحركاته متنسقة الموسيقى، وإذا بخطوطه متناغمة النحت، وبتعابيره ذهبية السنن. إنه أسلوب الإبلاغ الإيحائي المحلّى.

آمن بالله الواحد الأحد، فلم يعتبر اللطف ضعفًا، ولا الشجاعة عنفًا. حجته الصدق، وسلاحه المحبة.

جمعني به، إلى عشق الثقافة واحتراف اللغتين العربية والإنكليزية، كون كل منا يحمل بين جنبيه قضايا حقوق الإنسان وحياته الأساسية. كنت ولا أزال أراه إنساني الهواجس، شعبي التطلعات، نضالي الهوى. وإضافة إلى حرصه على الإيمان، كان محباً للسلام، متشبثاً بناصية العدالة، مستكناً لسكينة الإخلاص، متوكئاً على وداعة الطيبة. وكان معياره في كل موقف أن ما لا بد أن يسمو ويستمر إنما هو ما لا يخطئه توافق اثنين: العقل والقلب! وهكذا، وبكثير من الحكمة، وقليل من التشدد، عالج أزمات متطرفة متمادية. ولكن بكثير من الشدة، وإصرار على الثبات، دافع عن الحق ونافح عن أصحابه.

حلم بمدينة فاضلة، تسودها حضارة مرموقة، مشروعها تفاعلي تواصلني انصهاري على تنوع، وعالمية آفاقها إخبارية وفاقية تقريبية دونما ذوبان. وتطلع الى معرفة رؤيوية جليانية، عمادها نهضة تنويرية، ونواتها جوهر الإنسان المتحرر المتوثب الى المابعد، في مجتمع ينعم بالمساواة وتكافؤ الفرص.

تلك هي السمات التي تمثل شاعرنا المبدع، وتلك هي القيم التي تمثل بها هذا الإنساني المنفتح، فبات قدوة ثقافية وأحد قادة الفكر في عصره.

واليوم، إذ نزجي التحية للـ LAU ورئيسها الدكتور جوزف جبرا، نود أن نعرب عن شكرنا وتقديرنا البالغين لهما على تخصيص قاعة دراسية في المكتبة باسم جودت حيدر وعرض مقتنياته الخاصة بمرور خمس سنوات على رحيله.

بناء على ما تقدم، وباسمي وباسم جمعية أصدقاء الشاعر جودت رستم حيدر، أدعو الى إنشاء كرسي جامعي باسمه يعنى بالدراسة الإبداعية المعمقة في الميدان الشعري وبإحياء ورش عمل بحثية حول الشؤون الفكرية والقضايا اللغوية في الثقافتين العربية والإنكليزية. ونحن قطعاً سنبذل كل جهدنا لتحقيق ذلك.